بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنِ الرَحِيْم

مقدمة الطبعة الثانية

منذ صدور الطبعة الأولى لكتاب اسدود في صيف 2013 ، لاحظت ضرورة اصدار طبعة ثانية تلافياُ للأخطاء التي وقعت في الكتاب ، نتيجة للظروف المكانية والزمانية التي صاحبت نشره في قطاع غزة ، والتي حتمت التسرع في إصداره.

إن الترحيب الكبير والحار الذي قوبل به صدور الكتاب من قبل جمهور القراء ، لم يفت في عضدي للقيام بتلك المهمة الشاقة. فشرعت بجمع الملاحظات وتنقيح مادة الكتاب بدقة ، وإضافة ما يلزم من صور وخرائط وبيانات.

ولقد لمست تشجيعاُ مخلصاُ من العديد من القراء ، وكان ابن أخي الدكتور حسن علي النجار ، الأستاذ بكلية دلتُن بولاية جورجيا ، أكثرهم تشجيعاُ ، فانتهزت تلك الفرصة لللإستفادة من أفكاره والإستعانة بجهده ومعرفته الفنية في الطباعة الإلكترونية. لذا ، فكلمات الشكر لا تفيه حقه لما قدمه من جهد وفكر ومعرفة.

وأخيراُ ، ينبغي التنويه بأن المسؤولية أولاً وأخيراُ عما ورد في الكتاب تقع على كاهلي شخصياُ ، أتحملها منفرداُ ، راجياُ من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في تقديم الكتاب على خير وجه ، فالكمال لله وحده.

واللهُ وليُّ التوفيق ،

أحمد حسن جوده.

الأربعاء ، الثامن عشر من ذي القعدة ، 1436 هجرية

الموافق للثاني من سبتمبر 2015 للميلاد.

بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنِ الرَحِيْم

مقدمة الطبعة الأولى

كتابة تاريخ البلدان هو تقليد إسلامي عربي عريق ويمثل نوعا هاما من أنواع كتابة التاريخ بوجه عام، والأمثلة على ذلك عديدة: فمن تاريخ بغداد، ودمشق، وحلب إلى الفسطاط والقاهرة، والقدس، ومكة، والمدينة... الخ. ومعظم هذه التواريخ تبحث في خطط المدن وحاراتها ومعالمها من مدارس ومساجد وحصون، وسكانها بمشايخها وأعيانها وطوائفها وصناعاتهم وأهم أحداثها.

ان تدوين التاريخ المحلي-للقرية أو المدينة- سواء كان على شكل أبحاث علمية تستند إلى مراجع ومصادر موثقه، أو على شكل روايات شفوية لأشخاص عاصروا الأحداث وعاشوها، أو على هيئة ذكريات دونها أصحابها كما شاهدوها. هذا التدوين شكل من أشكال النضال الوطني الذي يهدف أولا وأخيرا إلى الإسهام في معركة تحرير الوطن المغتصب الذي تكالبت عليه جميع القوى الاستعمارية. وكانت الصهيونية وجها استيطانيا شرسا من وجوه الحركة الاستعمارية، التي اجتاحت آسيا وإفريقيا في القرون الثلاثة الأخيرة.

ومن أجل ذلك، فتاريخ القرى له دور هام في معركة التحرير، لأنه يسجل دور الفلاح ومكانته في التاريخ الوطني ونضاله على مر العصور من أجل هويته، ومقاومته المستمرة للحركة الصهيونية التي خططت لاقتلاعه من جذوره، ولكنه ظل صامدا ومحافظا على كيانه وثقافته وعاداته وتقاليده ليؤمّن خلود شخصيته الثقافية والوطنية. هذه التواريخ المحلية تسهم إلى حد كبير في بناء التاريخ الوطني للشعب الفلسطيني، وتطوير المفهوم العالمي لتأكيد الوجود الفلسطيني على أرضه الطيبة الطاهرة عبر العصور، ذلك الوجود الذي تمتد جذوره في أعماق التاريخ، وتظهر بوضوح في الحياة اليومية لهؤلاء القرويين.

إن تسجيل الحياة اليومية للقرى الفلسطينية قبل نكبة عام 1948 هو ترسيخ للهوية الوطنية، وتزويد للأجيال المتعاقبة بسلاح تقاوم به قوى الشر التي تعمل على طمس الحقائق أو تشويهها، وتدحض الأساطير والأباطيل التي يروجها العدو من أجل تزييف الحقائق والعمل على محو الذاكرة أملا في الفصل بين الأجيال الحديثة وتاريخ الأجداد العريق والمشرف.

يقوم العدو الصهيوني بحملة تزييف شرسة، وتشويه ممنهج لتاريخ شعبنا الناصع، ورفوف المكتبات العالمية تزخر بمثل تلك الأعمال المأجورة والمشوهة.

ولذلك فالهدف من كتابة تاريخ القرية أو المدينة أو العائلة، ليس من أجل التأريخ فحسب، بل لتثوير المشاعر وخلق صلة ورابطة بين الأجيال القادمة والوطن السليب إلى حين استرداده. إن الوصف الدقيق للمباني والشوارع والحقول والبيارات ليس هدفا في حد ذاته، فالهدف هو تقوية الأواصر بين الأجيال المتعاقبة وبين الوطن، والمحافظة على هذه العلاقة حية على مدار الزمن حتى يتحقق الهدف الأسمى بالعودة إليه بعزة وكرامة. إن المحافظة على حيوية الذاكرة التاريخية عامل فعال في خلق التاريخ الوطني خاصة في الظروف غير الطبيعية التي يعيشها شعب فلسطين، فالعائلة الواحدة مشتتة في عدة بلدان وأحيانا في عدة قارات. وهكذا فالتواريخ المحلية تشكل حلقة وصل هامة في البناء العام للمجتمع.

كتابة تاريخ القرية يساعد على تنمية المعرفة العامة، وخلق الوعي التاريخي بالزمان والمكان، وتخليد الماضي بالمحافظة على صورته حية في الأذهان. فالماضي متصل بالحاضر، والحاضر ليس حافزا للمستقبل فحسب، بل هو الطريق الحتمي لمستقبل أفضل إذا أحسن المرء دراسته، والإفادة من أحداثه ليساعده على تخطيط أفضل ليضمن تحقيق النتائج المطلوبة على أكمل وجه. وكما يقول الأديب الأمريكي الشهير وليم فوكنر William Faulkner "الماضي لا يموت أبدا ، بل هو حاضر مستمر." وليست هناك بدايات أو نهايات مطلقة وإنما هو حوار معقد متشابك ومتواصل بين الحاضر والماضي، وإن الأشياء في ظاهرها لا تدل على حقيقتها.

وحيث أن ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية لشعب فلسطين أخذت تختفي بسرعة بعد النكبة، ولن يمضي وقت طويل حتى تتلاشى تماما، فمن واجب كل فلسطيني سواء كان باحثا متخصصا أو إنسانا عاديا ألا يضيع وقتا، فيشرع في تدوين كل ما يقع تحت يديه، ويسجل ما يعرف بعد تمحيص وبأمانة. هذا العمل هو إسهام في تدوين التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي لشعب فلسطين. فعملية جمع التراث من عادات وتقاليد وأمثال وحكايات شعبية وأساطير، جميعها موروث شعبي هام لأجيال المستقبل، وبناء الهوية الوطنية على أسس راسخة وقوية لتكون قادرة وجديرة بحياة حرة وكريمه في ربوع وطنها الحبيب.

من أجل كل هذا، شعرت بالواجب يناديني بأن أسهم بقدر ما أستطيع في هذا الميدان بتقديم هذا الجهد المتواضع في الكتابة عن بلدة اسدود، مسقط رأسي، حيث قضيت سنوات طفولتي وصباي، آملا في الإفادة، وليطمئن قلبي بتأدية بعض من الواجب الوطني والعلمي.

وبالرغم من جميع الانتقادات التي توجه إلى الذاكرة التاريخية، أو الذاكرة كمصدر لكتابة التاريخ بأنواعه، فلا ينبغي بأي حال من الأحوال إهمال أو التقليل من أهمية الرواية الشفوية المبنية على المشاهدة، كمصدر هام لكتابة التاريخ. وفي بعض الأحيان ربما تكون أكثر دقة من الوثيقة المكتوبة والملونة بأهواء كاتبها لخدمة غرض معين. هذا واضح بشكل فاضح في تاريخ فلسطين الحديث الذي سيطر على كتابته الصهاينة بشكل عام. ولقد قرأت كثيرا منها ، وهي تتعارض مع أبسط الحقائق التي عشتها بنفسي، أو دونها غيري من جيل آخر ولد ونشأ في ربوع الوطن الحبيب.

فالتاريخ بشكل عام ، سجل للتجربة الإنسانية، والثقافة نتاج لتاريخ الشعب وأحداثه وعاداته ومعتقداته وحياته. فإذا أراد شعب أن يحافظ على كيانه وهويته فينبغي أن يعرف تاريخه وتراثه ويحافظ عليهما. فتدوين التراث الفلسطيني على جميع المستويات، في القرية أو المدينة أو البادية ، هو إثراء للتراث الإنساني. والتواريخ المحلية تعزز وتغني السرد التاريخي العام لأي شعب من الشعوب. ومن هذا المنطلق، فالشعب الفلسطيني في أمس الحاجة ليقوم المخلصون من أبنائه ومن شتى أنحاء العالم، بتدوين تاريخه بأمانة وإخلاص إسهاما في مسيرة النضال من أجل تحرير الوطن.

منذ عقود أخذت أجمع وأدوّن معلومات عن مسقط رأسي، (اسدود) حيث ولدت ونشأت وعشت حتى عام النكبة. ولكن حياة الغربة في الشتات حالت دون إخراجها في كتاب مطبوع قبل الآن.

هذا الجهد المتواضع، هو ثمرة عمل طويل وشاق، وكثيرا ما توقف أو تعثر جراء الأحداث المؤلمة التي ألمّت بالشعب الفلسطيني في مسيرته النضالية، وأصاب رذاذها أبناء فلسطين في "الغربة" فعانوا ما عانوا، وكأنهم يدفعون ضريبة "الغربة" سواء كانوا في بلاد العرب أو العجم.

وأخيرا، وبعد الحاح شديد، وتشجيع متواصل من أسرتي وأقاربي وأصدقائي، عزمت على إخراج هذا العمل إلى عالم الواقع، راجيا أن أكون قد أسهمت بشيء ما بتدوين ما أعرفه عن الحياة في اسدود قبل النكبة، للحفاظ عليها من الاندثار عسى أن تفيد الأجيال الحالية والقادمة. فالتاريخ بشتى أنواعه سجل شامل لتراث الإنسان، ووقود للروح والعزيمة لتحقيق مستقبل أفضل لجميع الشعوب.

وكي لا أثقل على القارئ، رأيت ألا أملأ الكتاب بالهوامش، واكتفيت بذكر المراجع لطلاب المعرفة والباحثين. المعلومات التاريخية في الكتاب هي من ثمار تدريس تاريخ فلسطين الحديث لعشرات السنين في عدد من الجامعات، والمحاضرات العامة في مناسبات عديدة. أما عن الحياة في اسدود بجوانبها المختلفة، فقد اعتمدت على مذكراتي وذاكرتي حيث أني عشت فيها ستة عشر عاما. وقد حرصت على تدقيقها والتحقق من صحتها من أترابي، وأقاربي، وكبار السن من أبناء قريتي. ولكن المسؤولية، أولا وأخيرا، تقع على عاتقي شخصيا.

ويطيب لي أن أتقدم بالشكر والامتنان إلى كل من أعانني على إنجاز هذا العمل. كما أرجو من القارئ الكريم أن يصفح عن الأخطاء العفوية ويتكرم بموافاتي بأية ملاحظات أو معلومات لأخذها بعين الاعتبار في طبعة جديدة إن شاء الله.

وأخيرا وليس آخرا، أود أن أعبر عن عميق شكري وتقديري لزوجتي وأولادي: نضال، فادي، لميس، ساري، نور، لتشجيعهم وحثهم المتواصل على تدوين ما أعرف من معلومات عن الحياة في القرية، حين كنت أروي عليهم بعضها، ونشرها في كتاب حفاظا على التراث، وتعميما للفائدة، وتسجيلا للتاريخ.

والله نسأل التوفيق والسداد

أحمد حسن جودة

غزة ، فلسطين ، في 1/6/2013، 22 رجب 1434هـ